

« الغيتو » تجاه مضطهديهم في بلدان أوروبا الشرقية ، رومانيا وروسيا وغيرها . وعندئذ بدأ الصراع الحقيقي بين اليهود في فلسطين وعرب فلسطين .

لقد كان اليهودي المنتج الوحيد الذي قابلته خلال الفترة التي قضيتها هناك ابتداء من الفترة التي قضيتها في القدس حيث كنت اتعلم في « اليشيفا » أي المدرسة الدينية ، صيبا صهيونيا أظن ان اسمه كان « يوشكا » ، وكان أبوه يهوديا ميسور الحال وفد الى فلسطين من اميركا الجنوبية او من جهة اخرى في العالم واشترى قطعة من الارض اكبر من قدرته ، فلم يكن لديه ما يكفي من المال ليغرس كل ما ود ان يفرسه من اشجار البرتقال ، ولم يكن ما معه من نقود يكفي لكي يعيش على مدخراته طوال السنوات الاربع او الخمس التي تحتاجها اشجار البرتقال حتى تثمر ويعيش مما يبيعه منها . وكان يوشكا - ولا ادري ان كان هذا هو اسمه الاول او اسم عائلته - فتى وسيما ، وكان يماثل العرب في مهارته في ركوب الخيل . وفي احدى مهرجانات سباق الخيول السنوية حيث كان غالبية المتسابقين من العرب ولم يشترك فيها الا بضعة يهود وربما كان يوشكا هو اليهودي الوحيد ، وكنا نعبده ، وقد ربح مرة جائزة السباق اذ سبق جميع المتبارين . هذا كان حال يوشكا في الرياضة ، اما في الزراعة فلا ادري ان كانت مساعدته لوالده في غرس الاشجار تعزى الى ما عرف عن والده من جد واجتهاد في العمل ، فقد يكون هذا هو سر نشاط يوشكا واجتهاده ، وكذلك قد يكون هنالك غير يوشكا حالات فردية شاذة اخرى ، الا انني لم أر مطلقا اي شخص يهودي رجلا كان ام صيبا يفرس اشجارا ، او يسقي اشجارا ، وعلى اية حال لم يكن هناك كثير من البساتين التي اشرف اليهود على غرسها ، فمعظم البساتين كان يملكها العرب . ان البرتقال المعروف باسم « البرتقال اليافاوي » هو برتقال عربي ، وهو الى اليوم ما زال من احب اصناف البرتقال في اسواق لندن وكذلك في اسواق نيويورك ، حتى في منطقة سانتا كلارا يوجد للبرتقال اليافاوي اسم كبير ، فقد اشترى اغراس هذا البرتقال من يافا العربية وغرسوها هنا .

ان أفضل انواع اليهود « العاملين » الذين قابلتهم ، وهم النوع الوحيد العامل المعاني

ولم يكن في فلسطين يهود ذوو شأن سوى ذلك العدد القليل من العمال الفتيان ، وكان يتراوح عددهم في جميع المزارع الجماعية في الجليل بين الفين الى ثلاثة الاف ، اما في الجنوب من الجليل فكانوا قليلا جدا الى درجة لا تستحق الذكر . وكان بوسع العرب ان يبيدوا في مثل لمح البصر لو انهم كانوا يبيتون اية خطة او نية لمثل ذلك . لم تكن هنالك اية جماعة بين العرب - السكان غير اليهود - تخطط او تنظم لمثل هذا الامر ، بل كانت هناك مجرد اعمال فردية .

اقتصرت جماعات اليهود الذين كانوا يفتدون الى فلسطين على المتعصبين من الصهيونيين ، والمتعصبين دينيا ، اما جماهير اليهود - جماهير الشعب اليهودي - فلم ترغب في الذهاب الى فلسطين ، بل كانوا يتجهون الى الولايات المتحدة وكندا وافريقيا الجنوبية وامريكا الجنوبية ، وحتى بعد سنوات من اعلان وعد بلفور ، في السنة ١٩٢٩ او ربما ١٩٢٧ او ١٩٢٨ اضطر حايميم وايزمن الى الذهاب الى رومانيا ليحفز اليهود فيها الى الهجرة الى فلسطين ، قائلا لهم : « انظروا ، لقد انتزعنا وعد بلفور من البريطانيين دون الاستناد الى اي اساس واقعي ، والان يظل البريطانيون يسألوننا: اين هم يهودكم ؟ فاذا كان سيقتنى لنا ان نملك ارض اسرائيل « اريتر ارائيل » ، واذا كنتم تؤمنون بذلك ( لم يكونوا يؤمنون بذلك !! ) فتعالوا الى فلسطين » . فيومئذ كان تسعة الاف يهودي يهاجرون من فلسطين مقابل كل ستة او سبعة الاف يهودي يفتدون اليها . ولم يبدأ العامل اليهودي في الظهور في فلسطين العربية بصورة ملموسة الا ابتداء من العام ١٩٢٢ ، وفي حين كان العرب يتكاثرون بصورة طبيعية ، لم يكن اليهود يتكاثرون ، بل يزدون وفقا لوتيرة الهجرة الى فلسطين بكل ما تمثله من زيادة اصطناعية . وكان اليهود يهاجرون الى امريكا الجنوبية ، البرازيل والارجنتين ، والى استراليا ونيوزيلندا واميركا وكندا ، وكثرت عازفين عن الذهاب الى فلسطين لانهم كانوا يظنون بأن حالهم ، عندئذ ، سيغدو كحال من يستجير من الرمضاء بالنار . وظل الحال كذلك الى ان اخذ اليهود الالمان يفتدون من المانيا ، والعمال اليهود الذين كانوا يعملون في المانيا اخذوا يعملون في فلسطين ، وكانت طوب هؤلاء مقرحة وملوثة بالحقن اكثر مرة من الحقن الذي كان لدى يهود